الأحياء الشعبية التونسية واجهة الاحتجاجات ووقودها

الفقر وتحاهل السلطة يؤجّجان شعور الشباب بالنقمة

وبعتقد العميد خليفة الشبيباني

الخبير في الشوون الأمنية أنّ

الاحتجاجات كانت منتظرة لأن الشعب

التونسي وصل إلى درجة كبيرة من

البطالة والفقر (ثورة الجياع)، والشبباب

لـ"العرب" إن "الأحياء الشعبية انطلقت

منها الاحتجاجات لأنها عنوان للفقر

والتهميش والإرهاب والهجرة السرية

والبطالة، ولم يقتصر الأمر على محافظات

معينة، بل هناك مناطق ساحلية أيضا

يعاني شببابها الفقر على غرار سوسة

وأشسار إلى "ظهور ديمقراطية الفقر،

حيث تراجعت الطبقة المتوسطة نحو

الفقر وازداد الفقير فقرا والشباب المحتج

في 2011 مطالبه كانت شعلا وحرية

خليفة الشيباني

الأحياء الشعبية تحتج

لأنها عنوان للفقر

والبطالة والإرهاب

وتابع الخبير الأمنى "نعانى من طبقة

نسب التنمية ضعيفة والمقدرة الشرائية

للمواطن ضعيفة أيضا، وهذه الطبقة لم

تفهم مشاكل الشبباب بدليل عزوف الفئات

الشبيابية عن الانتخابات، والتصحر

الثقافى والفكري لغياب المؤسسات

الثقافية، وتغييبه المتواصل عن المناصب

الجوع في تونس، وهناك شبه قطيعة بين

واستطرد بالقول "نعانى من ظاهرة

وكرامة وطنية".

القاسم المشترك بين

الشباب التونسي هو

فقدان الأمل والأفق

وقال الشيباني في تصريح

هو من دفع ضريبة ذلك.

اقترنت الاحتجاجات الشعبية التي شهدتها مختلف المناطق التونسية في الآونة الأخيرة بالأحياء الشعبية التي يعاني سكانها من الفقر والخصاصة، ورغم توفّرها على طاقات فكرية وشــبابية "مبدعة"، إلا أن منســوب العنف والجريمة يرتفع فيها، فضلا عن مناهضة شبابها "المهمش" للسلطة وأصحاب القرار السياسي.

> خالد هدوی صحافي تونسي

و تونـس – مثّلـت الأحيـاء الشـعبية التونسية واجهة للاحتجاجات الأخيرة بالبلاد، ولعب شبابها المهمش دورا مهما بهدف تحقيق جملة من المطالب الاجتماعية والاقتصادية، ورفض تواصل سياسة التسويف والمماطلة التي تنتهجها السلطات على غرار بقية الحكومات المتعاقبة.

ولئن كانت التظاهرات شكلا للاحتجاج الشعبى الرافض لممارسات الطبقية السياسية المتجاهلية لقضايا الفئات الاجتماعية، فإنها أماطت اللثام عن قاسم مشترك بين شباب "ثائر" يعانى الإقصاء والبطالة والفقر في أغلب الأحياء وخاصة في العاصمة تونس.

وتطرح الاحتجاجات الشعبية التساؤل حول حقيقة الهوّة التي اتسعت دائرتها بن الفئات التي أنهكتها مشاغل الحياة اليومية مقابل الفقر والبطالة، وطبقة سياسية تتشبّث بـ"برج عاجي" وتجهل حقيقة الأوضاع وتفاصيل معاناة المهمشين والمفقرين والعاطلين.

هوة عميقة

لم يكلف أصحاب القرار في السلطة أنفسهم حتى محاولات تقديم خطاب سياسي واضح المعالم والأهداف، يشخص حيثيات الواقع المازوم اقتصاديا واجتماعيا، ويقدم بدائل "منطقية" لمعالجتها، ومن ثمة ربط أواصر جديدة مع الشبباب المحتج برؤية وتفكير مختلفين.

ويؤكد المنتدى التونسي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية أنه سبق أن حذر من تعمق الشعور باللامساواة عند الشبباب. وذكر في دراسة حديثة أن 60 في المئة من الشبياب الذين استطلعت أراؤهم يشــعرون بالتهميش والظلــم، وأرجعوا ذلك إلى أن النخب السياسية لم تنجح في مواجهة الفساد وكرست سياسة الإفلات من العقاب وعدم المساواة أمام القانون وتجاوزت مسار العدالة الانتقالية.

وأشارت المتخصصة في علم النفس ريم بن إسماعيل خلال ندوة صحافية إلىٰ أن دراســة ميدانية قــام بها المنتدى وشملت 800 شاب من أحياء مختلفة من العاصمة (الكبارية، سيدي حسين، المروج والمنزه)، أظهرت أن 74 في المئة من الشباب يعتقدون أنهم مغيبون من الدولة و"صوتهم غير مسموع"، و80 في المئة منهم يعتقدون أن الدولة تهتم بالأغنياء أكثر من الفقراء وأن القانون لا يطبق على المواطنين بنفس الكيفية.

ويرى المنتدى أن التحركات الاجتماعية التي تعيشها عدة مناطق

ترددها، وسرعان ما تعتمد نظرية المؤامرة عند الاصطدام باحتجاجات الشارع.. لـم تنصت لتطلعات الشعب، والشباب التونسي كلُّه يعاني". إفلاس سياسي

الإنسان والقضاء على الفساد". الاجتماعية والاقتصادية والثقافية ولدى المراقبين قناعة بأن أصحاب السططة لا يتقنون إلا سياسة الهروب إلــيٰ الأمـــام، ومعالجــة أزمــة بتعميــق خرى في محاولة لنسيان أو تناس وقتي لخبايا الواقع الأليم. ولا يعترف

الاحتجاج والغضب عند الشباب لا يقتصران على الأحياء الشعبية فقط، بل إن الفئات التي تحدت القانون وحظر التحوال لا تختلفُ كثيرا عن البقية. وأوضـح في تصريـح لـ "العرب"، أن

القاسم المشترك بين الشباب هو فقدان الأمـل والأفـق والقـدوة، في وقـت تريد فيه الطبقة السياسية أن تقرض عادات وقواعد قديمة لزمن جديد، والأسباب أعمـق مما نعتقد، وهي تربوية ونفسـية

وتابع "نضيف إلىٰ تلك الخصوصيات

وأشار إلى أن هذه الفئات تعيش بين

هى ترجمة "لما تعرضت ومازالت تتعرض له هذه الفئات الواسعة من عنف وعقاب جماعي ووصم واستمرار لسياسات الإقصاء والتفقير والتجويع، فالغضب المتصاعد يطالب بتحقيق المنجزات المرتقبة للشورة ممثلة في العدالة الاجتماعية والكرامة وفي احترام لحقوق

أصحاب المنظومة السياسية بالشباب إلا زمن الانتخابات، فيسارعون بتقديم برامج ووعود "زائفة" لصناديق تحصد الأصوات وتتنكر للإنجازات باسم

ولإنقاد ما تبقى في هامش الروابط بين الشباب وأصحاب السلطة، دعا حجى إلى "ضرورة إنصات مؤسسات الدولة وهياكلها للشباب كحد أدنى من محاولات المعالجة والإصلاح".

من بينهم عمر الزعفوري، عند تفسيرهم لأسباب الاحتجاج، على أن المسألة تعود إلى عوامل أعمق مما يعتقد الجميع. ويقول الزعفوري إن تلك الأحياء لها نمط عيـش خاص، وهي غيـر مهيكلة بالنظر إلىٰ نمط البناء وغير قانونية أحيانا، وحتى من الناحية الجمالية للمباني، نلاحيظ حالية مين الفوضيي والبنياء العشسوائي تمثل إطارا مباشسرا للتحرك

وكثيرا ما تكون هذه الأحياء الشبعبية مناهضية للسلطة وصناع القرار السياسي، وأكد الزعفوري في هذا في الحرمان يمكن أن يخلق بينها طابع تضامني ينعكس على علاقتها الجماعية مع الأمن ومن يمثلون السلطة، وكأنها تقول للسططة إنها سبب التفقير

عالمن مختلفين (الافتراضي وشبكات التواصل الاجتماعي بكلّ مظاهره) والواقع الأليم، فضلا عن حالة العزلة التي عمقتها إجراءات الحجر الصحي.

يبدو أنه لم يعد في جراب الطبقة السياسية ما تقدمه من حلول للفئات الشبابية على وجه الخصوص، ذلك أن حجم القطيعة بين الطرفين بدأ يتسع من عهدة سياسية (برلمان وحكومة) إلى أخرى، دون الاهتمام بالتغيرات

كوكب لوحده. الأحراب والحكومات لم تقدم برنامجا واضحا، بل مجرد شعارات

ويقول النائب عن الكتلة الديمقراطية بالبرلمان نبيل حجّي في تصريح، إن

ويركن المختصون في علم الاجتماع،

الفقر والخصاصة والحرمان، ولا تتوفس بالعديد من تلك الاحياء أبسط مقومات العيش الكريم من ملاعب ونواد وفضاءات ثقافية، وبالتالي هناك مدينة غير رسمية وسط مدينة رسمية، بالإضافة إلى البطالة وانسداد الأفق اللذين يغذيان



جيل جديد من الشباب لا يستسلم لنظرية القيود

يوما داعمة للتحركات الاحتجاجية

الليلية مع بداية الانتفاضة الشعبية قبل

عقد من الزمن، حينها قادها جيل شاب

من خارج المنظومة الحاكمة ولم تكن

تستهوية السياسة ولا الغرف المظلمة،

مندفعا بإيمانه أن التغيير يأتى بضغط

الجيل يمثل لغزا، بل هو أكثر من لغز،

فيما يقر متابعون بأن هـؤلاء هم أولئك

الذين نفضهم غبار الثورة في 2011 ولم

تقــرا لهم الطبقــة الحاكمة أيّ حســاب

فأولئك المهمّشين غير المؤدلجين من

الشياب الذين عايشوا الاحتجاجات التي

أطاحت بنظام زين العابدين بن على، لم

تلتفت الحكومات المتعاقبة إلى مطالبهم

نهايــة 2010 وبداية 2011 في تونس كانت

في معظمها، إن لم نقل جلَّها، مسنودة

بمد شعبى واسع خرج للتظاهر والتعبير

عدة. وقد ركب قطار التغيير سياسيون

ومحامون ومواطنون عاديون وشباب

غير مؤدلج وأكاديميون ونقابات عمالية

الحراك طرح أسئلة تتعلق

بمدى قدرة الشباب على

التغيير وبأي آليات، وما

طبيعة أفعالهم

هى الأساليب التي ستحرك

لكن سيرورة هذا المد الشوري لم

تتوقف وبقيت ارتداداتها ماثلة للعيان،

حيث عاد هـؤلاء في هـذه الفتـرة إلى

الميادين والشوارع بالشعارات ذاتها

وينفس المطالب تقريبا "شيغل حربة،

كرامــة وطنية" و"الشــعب يريد إســقاط

النظام"، ما يعنى ضمنيا أن الثورة

التى قادها هــؤلاء تعود لهم اليوم إن هم

من طبيعــة الأطروحات التــى يقدمونها

والحلول التى يرون أنها كفيلة بالنهوض

بالواقع الحقيقي للدولة، فيما يطلق

عليهم أخرون توصيف "الجيل الغامض'

أو "غير المتحزب"، كونه جيلا متحرّرا من

ودفعت هذه المعطيات المراقبين إلى

طرح أسئلة جوهرية تتعلق أساسا

بمدى قدرة هـؤلاء على التغيير وبأي

أليات، وما هي الأساليب والطرق التي

ستحرك طبيعة أفعالهم؟ والأهم من ذلك

وتستمد جذور رؤية الشباب للتغيير

أحسنوا توظيفها.

كل القيود والالتزامات.

ومناضلون وغيرهم من الفئات.

فعندما اندلعت الاحتجاجات في

وتعاملت معهم باستخفاف.

والمتابع للأحداث يسرى أن هذا

كشفت الاحتجاجات التي تشهدها تونس مؤخرا عن بروز جيل جديد من الشبباب الناشط داخل ورش عمل مغلقة يؤمن بأن إحداث التغيير ليس حلما مستحيلا، وإنما هو رؤية جاهزة للتنفيذ. وهذا الجيل يحمل أفكارا تجديدية ويرفض الاستسلام للمألوف ولا يؤمن بالإحباط، كما لا يرضي بتكرار المعتاد. ولأن الله الثوري بدأ بصفة عفوية في 2011، فإن الرهان هو علىٰ مدى تكييف هذا الجيل لحراكه وتنظيمه لكســب الشرائح الأخرى في صفه أملا في تحقيق مطالبه المشروعة.

ثورة



🥏 تونس – يتحرّك الشارع التونسي هذه الأيام على وقع احتجاجات صاخبة طالت مدنا عديدة ولا يزال صداها يتفاعل منذرا بتوسع رقعتها. وقد حملت الأصوات المتعالية لجيل شاب خرج ليلا للاحتجاج، متحدّيا حالة حظر التجوّل المفروض بسبب انتشار وباء كورونا، للمطالبة بنصيبه من التنمية والتشغيل والكرامة، دلالات عديدة وأسئلة متباينة حول هوية هذا الجيل ومن يكون ومن يقف وراءه ويؤطره، وما هي آفاق احتجاجاته وردود

وينقسم المحللون حول هوية الجيل الجديد من الشــباب، الذي يقود الاحتجاجات وجرأته على كسركل القيود التي تحول دون تحقيق هدفه، بينما اعتبره مراقبون جيلا عايش المد الثوري عنه المثقفون والمدونون وجميع الفئات التي يعنيها التغيير في أبعاده الكبرى ومضامينه التي يمكن أن تعيد تونس نحو المسار الصحيح.

وقبل الدخول في قراءة تفصيلية لفهم ما بحدث بمختلف مسمياته سواء "ثورة الجياع" أو "ثورة المهمّشين" أو غيرها من التوصيفات، يجب التأكيد على مسألة غاية في الأهمية، ألا وهي أن كل أشكال العنف والتخريب والسرقة مرفوضة بالنظر إلى ما تحمله من رسائل تدين هؤلاء الشباب أكثر مما تخدمهم.

وبرزت الانتقادات الموحهة لهؤلاء المتظاهرين كونهم اختاروا جنح الظلام للقيام بأفعال خارجة عن إطار كل ما هـو تظاهر لتحقيق مطالب مشيروعة، وسـمحوا للبعض بوصفهم بـ"المخرّبين" وتشويه صورة الحراك الذي يقودونه.

وهكذا تبنت كافة الفرضيات العقلانية المسألة وعالجتها من منظور يراعى مصلحة الناس وممتلكاتهم أولا، وفي الوقت ذاته يوجه رسالة لهؤلاء الشبباب بأن عليهم أن يحولوا حراكهم إلىٰ نشساط مكثبوف ليكتسبوا زخما أكبر ومساندة جماهيرية أوسع، لأن الأساس في الحكم على أي ظاهرة أن يكون مبنيا علىٰ حجج صريحة وواضحة.

جيل غير مسيّس

مع أن هذا الشباب "الثائر" وحّهت له اتهامات بكونه فاقدا للوعى وأنه سمح لبعض المنحرفين بتضليل حراكه عن المسار الحقيقي، لكن يجب على الطبقة السياسية الحاكمة ألا تنسى أنها كانت

وبعض الأحزاب خصوصا الإسلامية على ويمر تفكيك هذه الأسيئلة عبر الطرح الذي ينشده الجيل الجديد من الشياب،

الذي يرفع جميع اللاءات بوجه الأحزاب والسلطة، ويمكن وصفه بجيل "لا"، فهو يلخّص مرآة عاكسة لمناهضة التجارب الفاشيلة التي قادتها حكومات ما بعد ورغم أن هذا الجيل ثار بطريقة هادئة

إلىٰ أي مدى سيحافظ هذا الجيل على

طابع الحياد؟ وكيف سيحمى نفسه من

محاولات الاحتواء التي تقودها السلطة

ضد الأحزاب والسياسيين والحكومات والمنظومة بكل أطرها التقليدية والمتعارفة، لكن لم يتم احتواؤه، بل تم التنكر لأطروحاته حـول التنمية وفرص العمل في مقابل الغنيمة التي حققتها الأحزاب (الإسلامية تحديدا) من وراء ثورته الناعمة التي قادها وإزاحته لنظام زين العابدين بن علي.

تشخيص مغلوط

ما بدا جليا هو أن أغلب القوى السياسية تواصل في تشريح الأزمة بشكل مغلوط وغيس ممنهج بما يخدم أجنداتها وديمومتها بعيدا عن رياح

وكان التشخيص السليم لرسالة الشبباب اليائس غائب عن الفاعلس البحث عن اقتراح حلول عملية لتبريد الأجواء وتستجيب لمطالب المحتجين، عمدت أغلب ردود الفعل إلى كيل التهم لهؤلاء وإلحاق أشدّ النعوت بهم.

وكل ذلك يأتي في سياق التفاعل مع ما خلفته الاحتجاجات من أضرار في الممتلكات الخاصة في أغلب الجهات والمدن، لكن ذلك لا ينفى الرسائل التي حملها أيضا المحتجون للطبقة الحاكمة بأن فشعلها سيجرّها إلى الأعنف ربما في

ويقف المغالون في الحكم على هؤلاء الشباب على النقيض من كل مقاربة تهدف لضمان حق الشباب في التظاهر السلمي شرط أن يكون منظما ومعبرا عن مطالبهم بطريقة حضارية. وسرعان ما نفخت الأبواق الإعلامية لحركة النهضة مدعومة بمكتب "قناة الجزيرة" في تونس، في هذا القالب وأعادت تدوير الأسطوانة بأن التظاهر بجميع أشكاله مرفوض.

ودعت النهضة، التي حمل المتظاهرون رسائل مباشرة إلى رئيسها راشد الغنوشي يدعونه فيها للرحيل، في بيان إلى أنها تدين الاعتداءات على الأملاك الخاصة والعامة وعمليات النهب والتخريب لمؤسسات إدارية وتجارية. وطالبت الحكومة بضرورة مصارحة الشبعب بحقيقية مناحصيل والقينام بالتحقيقات اللازمة وحماية الممتلكات العامة والخاصة وتطبيق القانون.

وفيما كانت الأنظار معلقة على قرارات جريئة من رئيس الحكومة هشام المشيشى تسهم في تبريد الأجواء في تونس، إلا أن خطابه، وفق مراقبين، جاء حاملا لرسائل لا تكفى لطمأنة الشارع الغاضب.



لا حلول قريبة لأزمة عميقة